ورقة مقدمة في مؤتمر الاتصال والدبلوماسية :آفاق جديدة في عصر المعلوماتية المعهد الدبلوماسي الأردني قسم الصحافة والإعلام/جامعة اليرموك و الرابطة العربية لأساتذة الاتصال ، عمان 6 -1997/9/8،

# تحديات الاتصال في القرن القادم الحالة العربية

أ.د. صـالح خليـل أبو أصـبع

## المدخل:

شهد العالم مع نهاية القرن العشرين متغيرات سياسية واقتصادية جديدة تلقي بظلالها على آفاق حياة المجتمعات البشرية في الألفية الثالثة.

ومن هذه المتغيرات، التي يشهدها العالم بروز النظام العالمي الجديد الذي أنهى وجود معسكرين شرقي وغربي وتوابعهما، ومع هذا أيضـا زاد التوجه نحو عولمة الاقتصـاد وانفتاحه، وتبعت ذلك تأثيرات مباشرة نحو التوجه إلى الديمقراطية والسعي نحو مأسسة الأنظمة السياسية، وخلق مجتمعات مدنية.

ويشـهد العالم كذلك تزايد وتيرة الثورة الصـناعية والتكنولوجية، وخاصـة في مجال الاتصـال، مما يتطلب ظروفا أفضل للتواصل البشري، ويفرض منافسات إقليمية ودولية في مجال الاتصال الدولي، من المنتظر أن تحدث تحديات حقيقية على مختلف المستويات.

وعلى امتداد تاريخ البشـرية كان الاتصـال: هو النشـاط الإنسـاني الأهم لحياة الإنسـان وتفاعله مع أخيه الإنسان في إطار بيئته. وحين اهتدى الإنسان إلى اللغة والكتابة وإلى الرسم اهتدى إلى السبيل الذي يحقق معه وجوده المتفاعل مع الآخرين ومع البيئة.

وإذا كانت البشرية قد عرفت وسائل اتصال مختلفة؛ فإن هذه الوسائل – على تنوعها – كانت السبيل لتحقيق التواصل الإنساني، للتعبير عن حاجاته الأساسية في المعيشة، والتفاعل والعمل والتكيف مع البيئة وحل النزاعات، وكانت كذلك سبيلا للتعبير عن الذات، وأصبح حق الإنسان في الاتصال من الحقوق الثابتة التي أقرتها الدساتير والمواثيق الدولية.

فميثاق الأمم المتحدة يقر بما يلي:

1- احترام حق جميع الشعوب في المشاركة في تبادل المعلومات على المستوى الدولي على أساس الإنصاف وتكامل المصالح.
2- حق كل أمة في استخدام مواردها الخاصة من المعلومات لحماية سيادتها والدفاع عن قيمها السياسية والأخلاقية واطلاع العالم على مصالحها وتطلعاتها.

3- احترام حق الجمهور والمجموعات الإثنية والاجتماعية والأفراد في الانتفاع بمصادر المعلومات والاشتراك على نحو فعال في عملية الاتصال.
4- الحق في احترام قيم الشعوب وحياة الأفراد الخاصة (المصمودي 19 – 17 : 982).

وفي عالم اليوم، أضحت وسائل الاتصال الجماهيري والمعلوماتية تهيمن على حياة الإنسان بحيث جعل ذلك أحد الباحثين يصف قوتها على حياة البشر (بالإله الثاني) إذ يرى أن الراديو والتليفزيون في كل مكان وهما معنا دائما، إذ تستمع الملايين إلى الشبكات والإعلانات التجارية نفسها، وتشارك شخصيات المسلسلات العاطفية مذاق الروح، وغموض الحب، والموت، ومعاناة الخطيئة، وانتصار الشيء الصحيح، إن وسائل الاتصال تؤثر في اتجاهات المجتمع، والبنى السياسية، والحالة النفسية لجميع البلدان، وكما الله فإن وسائل الإعلام يمكنها أن تغير دورة الحرب وأن تطيح بالمسؤولين وترفع من حطه الله، وتحط من قدر من علا شأنه من خلال توجيه انتباه الملايين إلى الحدث نفسه بالطريقة نفسها Schwartz 1983: 1 – 3.

إذن فإن قوة وسائل الاتصال، وحقوق الإنسان والشعوب في الاتصال تفرض تحديات على المستويات التالية:

1- الأفراد: وما توفره ثورة المعلومات وتقنياتها من انفتاح عالمي يجعل الإنسان العربي قادرا على الوصول إلى المعلومات والتواصل مع أفراد من الشعوب الأخرى، وخصوصا عبر ما توفره شبكات الإنترنت من إمكانيات هائلة من المعلومات والبيانات والآراء المتباينة.
2- المجتمعات المحلية: ومدى استجابتها للتحديات الثقافية والفكرية، وتأثير ذلك في الثقافة الشعبية والقومية.
3- المجتمعات الإقليمية: مثل الوطن العربي كوحدة إقليمية من حيث قدرته على الاستجابة للتحديات الإعلامية الإقليمية والدولية.
4- المجتمع الدولي: والتحدي الذي ينشأ عن شبكات الاتصال الدولي، وما يمكن أن ينتج عنه في ظل التوجه السائد إلى عولمة الاقتصاد والتوجه الديمقراطي وتأثير ذلك على الشعوب.

## أسئلة تحتاج إلى إجابات:

إن هذه التحديات التي تشارك في صنعها ثورة الاتصال بالإضافة إلى الظروف السياسية والاقتصادية الدولية، ستجعل النظر إليها من زاوية رؤية مستقبلة أشبه بالتنبؤ.

ولذا فإن هذه الورقة معنية بالإجابة على جملة أسئلة:

1- إلى أي مدى يمكن للظروف السياسية الدولية والإقليمية والمحلية أن تؤثر في تشكيل نمط الاتصال وحجمه ونوعيته في الوطن العربي في القرن القادم؟
2- ما هي التحديات التي تواجه المجتمعات في تنميتها والتأثير في بناء الفرد وتنشئته في ظل ثورة الاتصال والمعلومات في القرن القادم؟
3- ما هي التأثيرات المتوقعة للإعلام في الثقافات الشعبية والقومية؟

4- هل وسائل الإعلام قادرة على صنع ثقافة عالمية على غرار النظام الاقتصادي العالمي؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة جميعها أو بعضها، لن تكون إجابة مباشرة، بل ستكون من خلال مجموعة من المجالات التي تشكل أساسا لتأثير وسائل الإعلام في مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية والإقليمية والدولية.

## الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة رصد جملة التحديات التي تواجه الوطن العربي في حقل الاتصال الجماهيري في الألفية الثالثة، وهي تنظر إلى أن هذه التحديات المستقبلية ليست منبتة الصلة عن واقع تحديات آلية. فبعض هذه التحديات امتداد لما كان في القرن العشرين، و ستستمر مع القرن الحادي والعشرين، وبعضها سيكون وليد الظروف السياسية والاقتصادية والتكنولوجية التي يمكن أن يتمخض عليها عالم الغد بتشابك علاقاته ونمو اتصالاته وتطور تقنياته.

## المنهج:

تعتمد هذه الدراسة منهجا تحليليا نقديا يقدم رؤية استشرافية بحيث تدرس واقع التحديات الحالية وامتداداتها المستقبلية وتنقسم هذه الدراسة إلى سبعة محاور أساسية وهي:

1- التحديات التي تواجه الاتصال في الوطن العربي.
2- الاتصال والتنمية البشرية في القرن القادم.
3- النظام العالمي الجديد وتأثيره في ديمقراطية الاتصال في القرن القادم.
4- الاتصال والمعلومات وتأثيرهما في الثقافات القومية (قبائل في قرية عالمية).
5- ثورة الاتصال والمعلومات: الإنترنت ووسائل الاتصال الدولي في القرن القادم وتأثيرها في النخب في المجتمعات الدولية.
6- وسائل الاتصال والغزو الثقافي.
7- الاتصال الجماهيري: صناعة التسلية وترويج الاستهلاك وغزو خصوصية الفرد.

إن هذه المجالات تحاول الإجابة على الأسئلة المذكورة أعلاه.

- فالسؤال الأول: يجيب عليه المجال الأول.
- والسؤال الثاني: يجيب عليه المجال الثالث والسادس والسابع.
- والسؤال الثالث: يجيب عليه المجال الرابع والسادس.
- والسؤال الرابع: يجيب عليه المجال الخامس والسابع.

إن ما نقدمه ليس سوى قراءة أولية: ونعترف بأن هذا الموضوع يستحق المزيد من الدراسة والبحث وأن المجالات التي تحتاج إلى دراسة ستظل موضوع تحديات مستقبلية ليست فقط هذه المجالات ولكن ما تقدمه بمقدار ما يطرح من قضايا فإنه يفتح الباب أمام المزيد من التساؤلات حول تحديات الاتصال في القرن القادم.

## 2- التحديات التي تواجه الاتصال في الوطن العربي:

يشكل الاتصال الجماهيري في الوطن العربي حالة لا يمكن عزلها عن حالة الاتصال الجماهيري في دول العالم الثالث ولا عن حالة الاتصال الجماهيري في دول الشمال المتقدم من جهة، ومن جهة أخرى، فإن حالة الاتصال الجماهيري في الوطن العربي تعاني ما تعانيه أنظمة الاتصال في العالم الثالث، من مشكلات فهي تعاني نقص الإمكانيات المادية، وتعاني تقييد حريات وسائل الإعلام وحريات الأفراد هذا علاوة على طبيعة المعلومات التي تحول نشاطات البشر من المشاركة الفعالة النشطة إلى معرفة سلبية.

إن تحقيق الاتصال المعروفة جميعها ليس أمرا ميسورا، ذلك لأن الإعلام نشاط يرتبط بمجموعة من العوامل الشخصية المجتمعية، فإن ثقافة الأفراد وتكويناته النفسية المختلفة ومصالحهم وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية تشكل جزءا من العوامل التي تواجه نجاح الإعلامي في مخاطبة الناس.

وكذلك فإن العوامل المجتمعية السياسية والاقتصادية والثقافية والأيدلوجية ذات تأثير بين في الإعلامي من جهة أولى، وفي المؤسسة الإعلامية من جهة ثانية، وفي الرسالة الإعلامية من جهة ثالثة، وفي المتلقين من جهة رابعة.

ومن ثم فإن الحديث عن التحديات التي تواجه الإعلام العربي تجعلنا نقف أمام جملة من العوامل التي هي في حقيقتها ضغوط وكوابح تقف في مواجهة الإعلامي العربي. تثبط من عزمه. وتحول دون تأديته لرسالته على أكمل وجه. وهي تحديات قائمة في نهاية القرن العشرين – ويمكن تقسيمها إلى ما يلي:

1- تحديات سياسية: وهي تتمثل بمجموعة من القضايا الكبرى التي تواجه الإعلامي ويأتي على رأسها الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، والتجزئة، وما ينتج عنهما من نزاعات عربية – عربية، وقضية الديمقراطية والحريات السياسية في الوطن العربي وقضايا التنمية والتبعية مما يثير مسألة ارتباط الاتصال بالتنمية الشاملة في الوطن العربي.
2- السيطرة الحكومية والقانونية والتنظيمية: وتتمثل بالقوانين والتشريعات النقابية المنظمة للإعلام والقوانين واللوائح المنظمة للمؤسسات الإعلامية والقوانين التي تكفل أو تحد من الحريات، وتقنن التراخيص والرقابة، وهذا يثير مسألة حرية وسائل الإعلام وديمقراطية الاتصال.
3- تحديات أيديولوجية: وهي تواجه الإعلامي حينما تكون هناك أيديولوجيات للسلطة والمؤسسة الإعلامية وأخرى للكاتب وأيديولوجية للقارئ، وهذه تشكل تحديا أساسيا لا يمكن تجاوزه إلا من خلال الديمقراطية وهذا يثير قضية حرية الرأي.
4- تحديثا تمويلية واقتصادية: وهي تتمثل بمجموعة ضغوط وتأثيرات مباشرة وغير مباشرة في الإعلام ومؤسساته وهي تتمثل بتأثيرات:

أ) الممول.
ب) المعلن.
ت) المستهلك.
ث) المشترك (أفرادا وحكومات).
ج) التوزيع.

وتتمثل كذلك بمحدودية الموارد ومحدودية السوق في إطار التنافس المحلي والدولي.

5- تحديات مجتمعية: وهي ذات أشكال متعددة إذ يتمثل بعضها بالمستوى التعليمي والثقافي للمجتمع، أم ما يمكن أن نسميه بالأمية التعليمية والأمية الثقافية، وبعضها يتمثل بالمستوى الاقتصادي للمجتمع، ونضيف إلى ذلك الضغوط التي تمارس من التنظيمات الفكرية السياسية والجماعات الطائفية، وتثير هذه التحديات مسألة تأثير الاتصال في المجتمع.
6- التحديات الخارجية: وهي تتمثل بأشكال متعددة من بينها؛ ظروف الاتصال الدولي ومنافساته، كذلك الضغوط المباشرة مثل اتصال السفارات بالمحررين، أو إرسال الرسائل إلى السفارات، بالإضافة إلى الضغوط الاقتصادية عبر الاشتراكات أو الإعلانات الدولية.
7- تحديات مهنية: وهي مجموعة من التحديات التي ترتبط بنوعين من المؤثرات:
أ)عوامل مرتبطة بإدارة المؤسسة الإعلامية وتنظيمها: وذلك من خلال أسلوب الإدارة، وأسلوب التنظيم، وكفاءة الكادر، وتجانسه، وأهداف المؤسسة الإعلامية.
ب)عوامل مرتبطة بطبيعة العمل الإعلامية: وهذه ترتبط بالمغربل (حارس البوابة) واعتبار مهنته تتمثل بالمساحة والوقت وخدمات وكالات الأنباء.
8- تحديات تكنولوجية: تشكل المنافسة والتكنولوجيا الإعلامية وما رافقها من تدفق للمعلومات شكلا من أشكال التحديات الدائمة للإعلام من حيث قدرتها على مواكبة التطورات التكنولوجية للصمود في وجه المنافسات الإعلامية المحلية والإقليمية والدولية.

إن هذه العوامل لا يمكن فصلها. فهي عوامل ديناميكية متفاعلة لأنها ترتبط بعملية الاتصال وتشكلها.

## كيف تتم مواجهة التحديات؟

ليست هناك رسالة إعلامية كاملة وناجحة مئة بالمائة، فالكمال في الجهد الإنساني غير موجود، وخاصة إذا كان يتعامل مع عملية الاتصال بتعقيداتها وديناميكيتها، وفي ظل تعقيد الاتصال الإقليمية والدولي، ولذا فإن طموح أي إعلامي يتمثل في تحقيق بعض النجاح لرسالته الإعلامية.

إن محاولة اجتياز التحديات – أو على الأقل التعامل معها بمنطق يروضها – تستدعي منا التعامل مع عناصر عملية الاتصال بوعي وعلمية، بحيث تصبح أكثر قدرة على الإسهام في عملية اتصالية ناجحة.

ولا شك أن مثل هذه التحديات سيظل جزءا من هموم الاتصال العربي في القرن القادم.

ولأن التحديات التي تواجه الإعلام ليست تحديات في مقدرة فرد واحد مواجهتها فإنها تحديات أقل ما يمكن أن نصفها به بأنها تحديات مؤسساتية ومجتمعية ولكي يتم تجاوزها فإننا ننتظر من أكثر من جهة أن تسهم

في مجابهتها. فإننا لا نتوقع أن تحل مشـكلة الديمقراطية في الوطن العربي في يوم وليلة، حتى ولو سـنت القوانين التي تمنح الأفراد حرياتهم السياسية والفكرية، وذلك لأن الحرية الفردية وإن كانت مقياسا لتقدم المجتمعات. إلا أنها كذلك تستلزم تقبل الأفراد لتحمل المسئولية. وبعض التحديات التي تواجه المؤسسات الإعلامية يمكن حلها، إذ يمكن مثلا أن تستخدم مؤسسة إعلامية إعلاميا خبيرا يعرف كيف يصمم رسالة ناجحة مستخدما إمكانيات العلم، وتتوفر فيه لديه المعرفة بنظريات تأثير وسائل الإعلام ومعرفة جمهوره والأسلوب الأمثل لمخاطبته، إلا أن ذلك في ظل ظروف لا تسمح للرسالة الإعلامية بالوصول إلى جمهورها، يصبح هذا الإعلامي مثله مثل المتطفل على العمل الإعلامي والذي لا يجيد عمله ولكنه يستطيع أن ينشر اسمه كل يوم على صفحات الجرائد.

إن تجاوز أزمة الإعلام، عملية تستدعي مساهمة الحكومات والمؤسسات الإعلامية والتعليمية والأسرة .... لأن الإعلام هو نتاج هذه البيئة.

كذلك سوف تواجه المؤسسات الإعلامية تحديات على مستوى تنافسي كبير، ولذا فإن المؤسسات الإعلامية ذات الطابع الفردي، سوف تتضاءل وسوف تحل محلها المؤسسات الكبيرة، والتي من المتوقع أن تتوسع أنشطتها الاتصالية في مجالات مختلفة مثل، النشر والإعلان والصحافة والإنتاج التلفزيوني وغير ذلك. وسوف تبقى سيطرة الحكومات العربية على وسائل الاتصال قائمة في القرن القادم بصورة ظاهرة أو خفية عبر المشاركة في حصص رأس مال أو الامتلاك الكامل للمؤسسات الإعلامية، وسوف تزداد حدة المنافسة في الاتصال وخصوصا بين الفضائيات العربية، وسيقود ذلك إلى المزيد من القنوات الفضائية العربية.

وكما انتشر الفاكس وانتشرت آلات الاستنساخ التي وفرت للناس سرعة تداول المحظور من المطبوعات والمعلومات، ففي القرن القادم ومع دخول الإنترنت إلى مجالات الحياة العربية، وانتشار الفضائيات سيقود ذلك إلى المزيد من التفاعل عربيا، وسيزيد من فرص الحوار وسيساعد في تعزيز تدفق الاتصال وانتشار الديمقراطية وصيانة حرية الأفراد والمجتمعات.

## 3-الاتصال والتنمية البشرية في القرن القادم.

في عام 1994 بلغ عدد السكان في الوطن العربي 145034 مليون نسمة، ولا يزال الوطن العربي يعاني من مشاكل حقيقية في التنمية، وعلى الرغم من أن كشف حساب التنمية البشرية للدول العربية، أظهر تقدما واضحا حتى عام 1993، إلا أن الحرمان – كما يشير تقرير التنمية الدولي – يتجلى في كشف حساب الحرمان للتنمية البشرية للدول العربية وذلك كما يلي:

*** في ما يتعلق بالصحة:**

- لا يحصل سوى نصف سكان المناطق الريفية على مياه مأمونة، ولا يحصل سوى الثلث على مرافق الصرف الصحي الأساسية.

*** وأما فيما يتعلق بالتعليم:**

- هناك حوالي 60 مليون أمي بين مجموع سكان المنطقة البالغ 140 مليون نسمة.

- يوجد 9 ملايين طفل خارج المدارس الابتدائية، 15 مليونا خارج المدارس الثانوية.

*** وفي ما يتعلق بالدخل والفقر:**

- ما زال حوالي 73 مليون نسمة يعيشون دون خط الفقر، ويعاني أكثر من 10 ملايين نقص التغذية.

*** وأما في ما يتعلق بالمرأة:**

- لا يشارك سوى 25% من النساء العربيات في القوة العاملة الرسمية، مقارنة بنسبة 39% في البلدان النامية كمجموعة.

- لا تشغل النساء سوى 4% من المقاعد البرلمانية، وهي نسبة تقل كثيرا عن المتوسط في العالم النامي وقدره 10%.

*** وفي ما يتعلق بالطفل:**

- ما زال معدل الوفيات دون سن الخامسة، والبالغ 73 حالة لك 1000 مولود حي، أعلى من المعدل الموجود في البلدان الصناعية بأربع مرات.

*** وأما في ما يتعلق بالبيئة:**

- مع توافر من 1000 متر مكعب من المياه للفرد كل عام، يعاني حوالي 55% من السكان مع شحة شديدة في المياه. (دليل التنمية البشرية 1996)

يفرض هذا الواقع تحديات حقيقية من أجل تقدم حقيقي للمجتمع، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالمزيد من التنمية المستديمة، التي تعتمد على مشاركة الناس مشاركة حقيقية في مشاريع التنمية وإنجازها، ومنذ الخمسينات أسهم ليرنر وشرام وروجرز وغيرهم في دراسة دور وسائل الاتصال في التنمية والتي اعتبروها ضرورية لإنجاز التنمية ولا يمكن تحريك الجماهير بدون الاتصال التنموي الذي يشكل عصبا هاما لنجاح مشاريع التنمية. (أبو أصبع 1984)

ولا شك في أن العديد من مشاريع التنمية العربية وخططها، كانت تفتقد إلى رؤية واعية لدور الاتصال في التنمية، ولذا فإن تحديات التنمية البشرية التي تواجه الوطن العربي، يجب أن تواكبها رؤية واضحة لدور الاتصال التنموي في إنجاز التنمية. (أب أصبع 1989)

إن إدراكا لهذا الدور ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين، يجب أن يوفر كوادر اتصال تنموي، مدربة أكاديميا ومهنيا وخبيرة، ويجب أن يمتد دورها ليس فقط ليكون جزءا من وزارات الإعلام، بل يجب أن يمتد إلى جميع الوزارات والمؤسسات المعنية بالتنمية.

## 4- النظام العالمي الجديد: توجهات نحو اتصال أكثر ديمقراطية

شـهد العقد الأخير من القرن العشـرين العديد من المتغيرات الدولية، وبعد حرب الخليج برز مصـطلح النظام العالمي الجديد الذي كرس الدور القيادي للولايات المتحدة الأمريكية في العالم، وبانهيار المعسـكر الشـرقي وتصـدر نظام القطب الواحد لقيادة العالم باتت المتغيرات الدولية في ظل نظام العالمي الجديد تعزز بعض المفاهيم الأسـاسـية مثل حرية الأفراد وحقوق الإنسـان والديمقراطية، وحقوق المرأة وحقوق الأقليات وتعزيز القوميات والسوق الحرة وعولمة الاقتصاد وحرية السوق وهذه المفاهيم

ذات حضـور في القضـايا التي تنقلها وسـائل الاتصـال الجماهيري من ناحية، وذات تأثير في المناخ الذي تخلقه للاتصال من ناحية ثانية.

ويزداد الآن التوجه العالمي نحو المجتمعات المدنية وتعزيز الديمقراطية، ويعني هذا التوجه: أن على المجتمعات أن تعمل على صـيانة الحريات العامة وبناء ديمقراطيات تعزز التمثيل الشـعبي والمشـاركة الشـعبية ويحمل هذا التوجه في طياته العديد من التضمينات ذات الصلة بالاتصال.

1- فإن المجتمعات المدنية تحتاج إلى مؤسسات مدنية تمثلها وتعبر عن قيمها وطموحاتها.
2- إن المجتمعات المدنية والديمقراطية تحتاج لكي تنضوي تحت مظلة نادي الديمقراطية الدولي، حرية تدفق المعلومات وإبقاء النوافذ مشرعة أمام الاتصال الدولي.
3- إن المجتمعات التي تخض تجارب جديدة نحو الديمقراطية سـتظل أمام مجهر نادي الديمقراطية الدولي، وسـيكون هناك المزيد من المتابعات والتقارير، عبر مؤسـسـات وطنية وإقليمية ودولية لحماية حقوق الإنسان، ورصد حرية وسائل الإعلام ومخالفاتها ومدى إتاحة الفرصة لمزيد من تدفق الاتصال من مختلف الاتجاهات.
4- إن النظام العالمي الجديد سوف يتيح للشركات متعددة الجنسيات والمؤسسات الدولية أن تلعب أدوارا أوسـع – بمشـاركة الحكومات – في تشـكيل الحياة القادمة وتوجيهها، مسـتفيدة من تكنولوجية الاتصـال والمعلومات، وستلعب الشركات والشبكات الاتصالية والمعلوماتية دورا أكبر في التحكم في أشكال الاتصال وحجمه ونوعيته، وسـوف يؤدي ذلك إلى المزيد من التنافس على الأسـواق العالمية لتسـويق معدات الاتصال والمعلومات ومنتجاتها بما تحمله من قيم منتجيها.
5- يتزايد الطلب على المعلومات في ظل التوجه السـائد نحو حل النزاعات بطرق سـلمية أو تحت مظلة دولية.

ويحمل النظام العالمي الجديد معه هموم الحرية والديمقراطية وأمل الشـعوب في التقدم والمسـاواة، ولا يبشر المستقبل بعالم تتساوى فيه الشعوب بإمكانياتها الاقتصادية، والتكنولوجية، والمعلوماتية، و ستظل الفجوة قائمة بين شـعوب العالم في الإمكانيات السـالفة، مما سـيبقي قضـية التوازن والإنصـاف في تبادل المعلومات من أولويات القرن الحادي والعشرين.

ولا نتوقع في القرن القادم أن يتم أي إنصاف بشأن التوازن في تدفق الاتصال بين دول الشمال والجنوب، وستظل مسألة تدفق الاتصال الحر باتجاه واحد من الشمال إلى الجنوب ذات سيطرة على سوق المعلومات العالمية، و سيظل البون الشاسع موجودا في تكنولوجيا الاتصال. ويشير تقرير لجنة إدارة شؤون المجتمع العالمي، إلى اختلال الاتصال وذلك بقوله: وعلى الرغم من أنه قد حدث توسع هائل في المدى الذي تصل إليه بعض وسائل الاتصال، تظل أوجه اختلال خطيرة في ما يتعلق بفرص الوصول إلى المعلومات وفي توزيع حتى التكنولوجيا الأكثر أساسية. فلا يزال نحو ملياري نسمة – أي ما يزيد على ثلث عدد السكان في العالم – يفتقر إلى الكهرباء. وفي عام 1990، كان عدد خطوط الهاتف المتوافرة في بنغلاديش والصين، ومصر والهند وأندونسيا ونيجيريا مجتمعة أقل منه في كندا التي يعيش بها 27 مليون نسمة فقط. ويتكرر هذا التفاوت في ملكية أقمار الاتصالات، وهي الأساس في عولمة وسائل الإعلام. (جيران في عالم واجد 1995" ص 53).

وعلى الرغم من التوجه العالمي نحو الديمقراطية، والدفاع عن حقوق الإنسان – ومهما كانت النيات من وراء هذه التوجهات والمصالح التي تدفع إليها – فإنه ليس من المتوقع أن تصبح قضية الديمقراطية والعدل وحقوق الإنسان قيما ثابتة لدى الأنظمة المختلفة التي تسود في العالم، وخصوصا أنظمة الحكم العربية ودول العالم الثالث بشكل عام.

وعدم ثبات هذه القيم لدى تلك الأنظمة سيشكل تحديا رئيسا في القرن القادم، سوف يبقي مبدأ حرية الصحافة وحرية القول والتعبير محكومة بمصالح الأنظمة وإراداتها، وسيظل مبدأ المصداقية – وقول الحق مرهونين بإرادة الأنظمة و سيطرتها، و سيظل مجال غزو خصو صية الأفراد متاحا ما دامت حقوق الإنسان منتهكة في ظل الأنظمة القمعية.

## 6- الاتصال والمعلومات وتأثيرها في الثقافات القومية (الخصوصية القومية في إطار العالمية: قبائل في قرية عالمية):

طرح مارشال مكلوهان Marshall Mcluhan مقولته حول القرية العالمية the global village في كتابه the Gutenberg galaxy حيث يقول " .... ولكن من المؤكد أن الاكت شافات الكهرومغناطي سية قد ساهمت في خلق المجال المتزامن في مناحي الحياة الإنسانية كافة، بشكل جعل المجتمع البشري يعيش في جو يمكن تسميته بالقرية العالمية، فنحن نعيش في مجال ضيق محدود يتناغم مع دقات الطبول القبلية، حيث إن اهتمامنا ... هذه الأيام يقابل في بساطته اهتمام الناس بالتقدم في القرن التاسع عشر والذي لا يمت لمشاكلنا بأي شكل من الأشكال. (Mcluhan, 1962. 43)

وقد اعتبر مكلوهان أن الكرة الأرضية، أضحت ناحية مجتمع تعلم، وفي الوقت نفسه، فإنها بالنسبة إلى وثاقة علاقاتها المتداخلة أصبحت قرية صغيرة، أنماط الرابطة البشرية القائمة فيها على وسائل أضحت في ليلة وضحاها، ليس غير ذات صلة أو قديمة حسب، ولكنها أضحت تحديا للوجود المتمرد للقدسية، وفي مثل هذه الظروف فإن فهم وسائل الاتصال، يجب أن يعني فهم تأثيرات الوسائل.

لقد مالت أهداف وسائل الإعلام الجديدة – بشكل قدري – لأن توضع بناء على معايير وأطر الوسائل الأقدم، فجميع اختبارات وسائل الإعلام أجريت من خلال معايير الوسائل الأقدم وخصوصا الكلام والطباعة. (Mcluhan 1976, 151 – 152).

إن هذا المصطلح الذي أطلقه مكلوهان بخصوص القرية العالمية الصغيرة صحيح إلى حد ما من حيث القدرة الهائلة والإمكانيات المتاحة نحو تدفق الاتصال الدولي وتوافره، وهذا كان يعني كما رأى كثير من المنظرين الإعلاميين، مزيدا من الانفتاح العالمي والتفاعل بين الثقافات الإنسانية، ورغم التنوع ووفرة وسائل الاتصال وأصبح توفر القنوات المحلية والقومية التي تتنافس فيما بينها، وتنافس القنوات الأجنبية يحول دون تفاعل الشعوب بالمستوى المأمول، فعلى سبيل المثال، فقد بات بمقدور المشاهد العربي، أن يختار بين أكثر من ثلاثين قناة فضائية عربية، جميعها تتنافس في ما بينها، لاجتذاب المشاهد العربي، وتتنافس معها المحطات التركية، من جهة أخرى، وهي تقترب من عشر قنوات فضائية.

وإذا كان بإمكان الجمهور العربي، أن يستقبل نحو خمسين محطة فضائية بأقل تكلفة مادية، فإن الجمهور ميال إلى متابعة المحطات الفضائية العربية بسبب اللغة والثقافة المشتركة، ولذا فإن ا لخيارات المطروحة عربيا أمامه تتيح له مجالات الاختيار ترفيهيا وثقافيا وأيديولوجيا من قنواته الفضائية العربية العديدة، وما نفترضه هنا أن القرية العالمية الصغيرة تكنولوجيا، سوف تعزز ما نسميه في القرن القادم بالقبائل في القرية العالمية الصغيرة الموصولة، وهذا يعني أن وسائل الاتصال وخصوصا المحطات الفضائية، سوف تؤدي إلى تعزيز الهويات القومية والخصوصية الثقافية والثقافات الشعبية، وهناك شواهد على ذلك.

فخلال العقد الماضي، أصبح بإمكان الأقليات والعناصر الثقافية المتنوعة في مجتمع مثل المجتمع الأمريكي – الذي كان يعتبر وسائل الاتصال من عناصر بوتقة الصهر Milting Pot – أن تعزز ثقافتها الأصلية والعودة إلى جذور هويتها القومية عبر وسائل الاتصال، وقد أضحى بإمكان العرب الأمريكيين متابعة البث التلفزيوني من الولايات المتحدة ذاتها سواء أكان ذلك من خلال محطات تلفزيونية أو من خلال التلفزيون السلكي Cable t.v أو من خلال قدرتهم على استقبال القنوات الفضائية العربية، وهذا نفسه ينطبق على الأمريكان من أصول عرقية أخرى، كالصينيين واليابانيين والمكسيكيين أو غيرهم.

إذن فمثل هذا الدور الذي تلعبه وسائل الاتصال في إطار القرية العالمية، سيميل إلى تشظية المجتمعات، التي تتنوع فيها الثقافات والأعراق، بحيث يزداد التوجه نحو القوميات وتعزيز ثقافاتها وهوياتها القومية أي أن القرية العالمية ستكون قرية قبائل متنوعة.

ولعل ما نتوقعه بالنسبة للأمة العربية، وبالنسب للقوميات الأخرى التي تتاح لها فرص اتصال منا سبة، أن تسير في تجاه تعزيز هوياتها القومية وترسيخها والتفاعل بين شعوب القومية الواحدة كالأمة العربية، إن ما تقدمه الآن الفضائيات العربية، وعلى الرغم من تحفظنا على مستوى ما يقدمه بعضها، وعلى أسلوب بعضها الآخر ومضامينها، إلا أنها الآن مناخا مناسبا للحوار والتفاعل العربي، ومجالا للنقاش حول قضاياه من الرباط حتى مسقط يساهم فيه الجمهور ويبدي رأيه فيه. أعتقد أن هذا يشكل تيارا يشق طريقه بين الناس بصمت، ويعزز وجود قبيلتنا العربية في إطار القرية العالمية الصغيرة بقبائلها (قومياتها) العديدة.

## - ثورة الاتصـــال والمعلومات: الإنترنت ووســـائل الاتصـــال الدولي نخبة عالمية في القرية العالمية الصغيرة.

أشرنا إلى ما اقترحه ماكلوهان بخصوص القرية العالمية الصغيرة وفي تقرير لمجلة التايم الأمريكية Time Feb 3. 1997 بعنوان المجتمع المشـتبك أهلا بالعالم السـلكي، The Net worked society. Welcome to the wired world.

كتب جو شوا كوبر رامو Joshua Cooper Ramo يقول أنه في جميع أنحاء المعمورة فإن ضوء المجتمع المشـبك ينمو Pinprick is glowing وفي بداية التسـعينات كان هناك مليون إنسـان موصـولا أو عالبا يحاول أن يتصـل عبر الكوابل النحاسـية عن طريق البريد الإلكتروني ولكن حينما أصـبح الالتحاق بالإنترنت أكثر سـهولة فإن قيمتها وعدد الملتحقين بها تضاعف ومنذ ذلك الوقت أصبح عدد مستخدمي الإنترنت في العالم يقدرون بنحو 57 مليون مسـتخدم، ويقدر جون كوارترمان Jon S Quarterman بأن العدد مع نهاية القرن سـيصـل إلى سـبعمائة مليون.

ويرى كبير مهندسي شركة MCI فريد بريجز Freed Briggs أن شبكة الهاتف أخذت مائة سنة لتصبح على ما هي عليه الآن، أما شبكة الإنترنت فإنها ستأخذ المستوى نفسه خلال خمس سنوات فقط، ويؤكد رامو بأنه يمكن تتبع بســهولة وبمنطق بســيط بأن شــبكة الإنترنت ســتكون قوتها مائة ضــعف عما هي عليه الآن كأداة معلوماتية في نهاية القرن العشرين Time : P. 32.

وترى د. شــذى الدركزلي أن شــبكة الإنترنت أصــبحت : مكتب بريد وســوقا تجارية ومكتبة ومخزن برمجيات وو سيلة تعليم وثقافة وقراءة صحف ومجلات، ومراكز حوار فكري وعلمي بين الفئات المختلفة في عدة أماكن من العالم، كل ذلك

باسـتخدام النص الكتابي والصـوري والصـوتي (أو ما يسـمى بالأوسـاط المتعددة Multimedia من على شاشة مرئية تشبه شاشة التلفاز. الدركزلي 1997 : 35.

لقد أصــبحت شــبكة الإنترنت بما توفره من ثروة في المعلومات منبرا للتفاعل بين المســتفيدين، تقدم مجموعة من الخدمات الاتصــالية والمعلوماتية مثل البريد الإلكتروني E-Mail وبروتوكول نقل الملفات File transfer protocol وهذا يتيح نقل الملفات من حاسوب إلى آخر، وتبادل التقارير والبحوث وقواعد البيانات بين الباحثين، بالإضـافة إلى البرمجيات سـواء المجانية Freeware أو المشـتركة Shareware أو التجارية Commercial وكذلك هناك الشـبكة العالمية World Wide Web "www" وتشـمل هذه الشـبكة بروتوكول نقل النص متعدد الطبقات Hyper Text Transfer Protocol "HTTP" المصدر نفسه 35 – 36.

لقد أصبحت إمكانية اشتراك الأفراد والمؤسسات بشبكة الإنترنت سهلة للغاية فمن خلال جهاز كمبيوتر وموديم وخط هاتفي أصبح بإمكان المشترك أن يتصل بالشركات والمؤسسات الصناعية والحكومية والأكاديمية ومراكز البحث العلمي والمؤســسـات الصــحفية والتلفزيون، ودور النشر وذلك للحصــول على المعلومات التي

يحتاجها. بل أصبحت شبكة الإنترنت مجالا من مجالات الترفيه والترويج للأفكار الدينية والاجتماعية والشاذة، وكذل مجالا لترويج الرذيلة والإباحية. وفي هذا السياق كله تصبح شبكة الإنترنت – التي يتوقع أن تقتحم القرن الواحد والعشرين بقوة لا مثيل لها – أن تتمتع كذلك بتأثيرات إيجابية وسلبية في المجالات التالية:

1- في إطار تشبيك العالم عبر الإنترنت في عالم القرية الصغيرة، فإن الفرص أمام النخب العالمية للاتصال والتفاعل الإنساني سوف تزداد، ولكن ذلك سيؤدي إلى مزيد من الحوارات والاعتمادات المتبادلة في الحصول على المعلومات وتوفيرها للنخب السياسية والثقافية والعلمية والتكنوقراط.

وسيؤدي ذلك في المجالات العلمية والتكنولوجيا إلى زيادة قاعدة المتخصصين وتطوير كفاءاتهم على امتداد العالم.

وفي المجالات الثقافية والفكرية والقضايا الجدلية (في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية) و سوف يزيد التفاعل من حدة الحوارات والتي تنطلق من رؤى ثقافية مختلفة سوف تقود إلى تكريس خنادقها الثقافية والدفاع عنها، وسيكون الإسلام محورا من محاور النقاش والجدال عبر شبكات الإنترنت الجماهيرية.

وقد لاحظ نيصبات وابردين ما يلي: (كلما زاد تأثير الشعوب المتبادل في بعضها البعض كلما ازدادت رغبتنا في الاحتفاظ بقيمنا التقليدية ليس بالضرورة بالصورة الإيرانية العنيفة بالحماس نفسه على الأقل.

وفي مواجهة تزايد عملية التماثل والتجانس في أسلوب الحياة العالمي فسوف نسعى إلى الاحتفاظ بهويتنا القومية سواء أكانت دينية أو ثقافية أو لغوية أو إثنية. (بيصبات وابردين 127 – 159).

وفي هذا السياق، فإن الغرب الذي فقد خصمه التقليدي بعد انهيار الاتحاد الاتحاد السوفيتي سوف يزيد من حدة عدائه لعدو جديد مصطنع، يجد له مبرراته من خلال أفعال العنف والإرهاب الدموي الذي تشهده بعض البلدان العربية والإسلامية مثل الجزائر ومصر وأفغانستان، والذي يلبس طابعا دينيا أو أن يلصق بجماعات دينية وتسمى أحيانا أصولية.

نتوقع من وسائل الاتصال الغربية أن تستمر في تشويه الإسلام وتشويه الشخصيات العربية والوقوف بتحيز مع إسرائيل في مواقفها العدائية ضد العرب.

2- سوف توفر شبكات الإنترنت والمحطات الفضائية الدولية مثل الأمريكية CNN، والبريطانية BBC، والفرنسية TV5، وغيرها وكذلك الصحافة الراقية الغربية والتي يتم تسويقها عالميا مثل New Week, Time ودير شبيجل، ولوموند وغيرها، سوف توفر جميعها قاعدة تفاعل نخبوي دولي يؤثر عمليا في خلق نخبة عالمية قادرة على التفاعل، وخصوصا فيما يتعلق بالمشكلات الدولية والقضايا الاقتصادية العالمية، ويمكن أن يكون لهذه النخب – باعتبارها قادة رأي في مجتمعاتها – دور كبير في التأثير على مجتمعاتها.

وهنا يمكن القول إن الحديث عن رأي عام دولي في القضايا الدولية ذات الطبيعة الإنسانية وغير جدلية مثل قضايا البيئة، والحريات والديمقراطية، سيكون ممكنا تشكيله مستقبلا، ما دام موضوعها لا يتعارض مع الهموم أو المصالح القومية، ولا يؤثر في الخصوصية الثقافية في المجتمع.

3- بشكل عام سوف تؤدي شبكات الإنترنت ووسائل الإعلام إلى إتاحة المجال للاستغلال من قبل قوى شريرة، سواء أكانت عصابات عالمية، أو أشخاص مضطربين نفسيا، أو جماعات عرقية متعصبة، أو جماعات ذات هوس عقائدي.

ولقد نشرـــت النيوزويك 7 أبريل تقريرا بعنوان لو الشـــبكة Blaming the web بقلم ســـتيفن ليفي Steven levy أشـارت فيه إلى دور شـبكة الإنترنت في نشرـ العقائد الغربية، وذلك إثر الانتحار الجماعي لتسـعة وثلاثين شخصا، من أتباع جماعة بوابة السماء Heaven's Gote ، قرب سان ديجو في كاليفورنيا، وقد تم استخدام شبكة الإنترنت من قبل هذه الجماعة حيث إن الشبكة كما أشار ليفي تمثل سوقا حرة للمعلومات توفر الفرصة لإيجاد الأتباع واستعراض الآراء من قبل مثل هذه الجماعات.

4- سوف تقوم شبكة الإنترنت ومع توفر شبكات الاتصال الدولية أمام شعوب العالم في القرن الحادي والعشرين إلى نقيض ما اقترحه هربرت ماركوز حين قال إن المجتمع المعاصر يميل إلى إلغاء امتيازات الثقافة الإقطاعية والأرســتقراطية وإلى إلغاء مضــمونها في آن واحد. فلئن كانت حقائق الفنون الجميلة المتعالية وجماليات الحياة والفكر وقفا على جمهور غني ومثقف، فهذا لأن المجتمع كان مجتمع قمع، ولكن لا يمكننا الافتراض بأن شــيئا ما قد تغير، لأن هناك اليوم كتب جيب واسطوانات ميكروسيون، أو لأن التربية قد عممت، أو لأنه بات في وسع المرء أن يذهب إلى المسرح أو الحفل الموسيقي من غير أن يرتدي لباس السهرة الرسمي، لقد كانت الامتيازات الثقافية تعبر عن كون الحرية مجحفة، تعبر عن التناقض بين الأيدولوجية والواقع، تعبر عن أن هناك هوة بين الإنتاج الفكري والإنتاج المادي، ولكنها كانت تقيم أيضــا ميدانا مغلقا مســورا يمكن فيه للحقائق – التابو – أن تعيش وتحافظ على كمالها. أما اليوم فقد تلاشى هذا الانفصال وتلاشى معه التجاوز والوضع في قفص الاتهام، وصحيح أن النص واللهجة ما يزالان موجودين، ولكن المســافة الفاصــلة التي كانت تجعل منها "ريحا آتية من الكواكب الأخرى" (هربرت ماركوز ص 100 – 101).

وبنظرة متفحصــة إلى واقع التنمية البشرــية ففي المجتمعات العربية – الذي أشرنا إليه ســابقا – ندرك تماما بأن أشــكال التمايز بين ثقافتين هما ثقافة النخبة والثقافة الشــعبية أو الجماهيرية ســتكون أكثر بروزا في مطلع القرن القادم. وذلك يعود إلى عدة عوامل منها:

أ) المستوى التعليمية والثقافي لأفراد المجتمع.

ب) المستوى الاقتصادي الذي يسهل أو يعيق الحصول على الاتصال بأعلى تقنياته ويمكننا الحصول على أكبر حجم من المعلومات وعلى نوعية متميزة توائم الحاجة والطلب.

ج) حاجز اللغة الذي وإن تكسرــ في بعض جوانبه لدى البعض فإن اللغة الأم تظل في اللغة الأقرب إلى الإنسان والأحب إليه في الاستعمال.

## 4. وفرة المعلومات والاتصال وفيضانها:

إن وفرة المعلومات وتدفق الاتصال سوف يسهم في إتاحتها بشكل لم تعرفه البشرية من قبل، وأضحت المعلومات وفيرة بشــكل لا يمكن لأي متخصــص أن يتابع معه ما يســتجد في حقل تخصــصــه مهما جاز من الإمكانيات، ومهما توفر له الوقت والجهد، وليســت الوفرة هنا هي التي يمكن أن تســبب مشــكلة فتوفرها بدون إمكانية الحصول عليها لا تقود إلى شيء وخصوصا بالنسبة للمجتمعات الفقيرة.

إن ما يلفت الانتباه عما سيكون عليه مستقبل الاتصال في القرن القادم ما يلي:

1. وفرة المعلومات في جميع المجالات وعدم إمكانية احتكارها.

2. إتاحة هذه المعلومات لمن يستطيع أن يتوصل إليها تقنيا واقتصاديا وفنيا وثقافيا.
3. إن التوسع في الاتصال وخصوصا عبر شبكات القنوات الفضائية، والتلفزيونات الخطية وربط الكمبيوتر وشاشة التلفزيون بحيث يستخدمان كجهاز واحد، سوف يتيح فيضان الاتصال إقليميا ودوليا، ويعزز التنافس بينها.

ولا شك أن وفرة المعلومات، وسهولة الوصول إليها، وفيضانها، سوف تطرح تحديات كبيرة على النشء، في مواجهة العملية التعليمية، والتنشـــئة الاجتماعية. وســـيظل للتلفزيون دوره الكبير في التأثير في النشء وفي تلبية العديد من الحاجات لهم.

إن تشبيك العالم عبر القنوات الفضائية والإنترنت والبرامج التلفزيونية التي تبث عبر الحدود، سوف تقود إلى مراجعة لنظريات تأثير وســائل الاتصــال، ون يصــبح أمرا ميســورا اعتماد إحدى النظريان لفهم تأثير وســائل الإعلام، فنظرية التأثير المباشر Bullet Theory ونظرية التأثير المحدود Limited Effect Theory ونظرية التأثير المعتدل Moderate Effect Theory ونظرية التأثير القوي Powerful Effect Theory كلها لا تســتجيب لفهم تأثير الاتصال على المتلقي لأنها جاءت في سياقات مختلفة وتركز على بعض المتغيرات وتترك أخرى. ولذا فإن رؤية لتأثير وســائل الإعلام في المتلقي تســتدعي منا نظرة أكثر شــمولية لفهم تأثير وســائل الإعلام وذلك ما اقترحناه في موضع آخر تحت اسم مبدأ الاصطياد (أبو اصبع، 1995).

## 7- الاتصال الجماهيري: صناعة التسلية وترويج الاستهلاك وغزو خصوصية الفرد.

خلال هذا القرن، تطورت أشكال الاتصال التي تقدمها وسائل الإعلام بطريقة تضمن الجاذبية وتحرص على الاستحواذ على أكبر قدر من الزبائن، والحصول على أكبر عائد مادي. ومن أجل ذلك، عمدت وسائل الإعلام إلى ترويج التسلية وترويج الاستهلاك وغزو خصوصية الأفراد باعتبارها سلعة للتسلية وسنستعرضها هنا باعتبارها من التحديات التي واجهت وستواجه الاتصال في القرن الحادي والعشرين.

### 7- 1- الربح وصناعة التسلية

يمكن النظر إلى وسائل الاتصال في القرن الحادي والعشرين. وهي تسير باتجاهات ثلاثة: فهناك الاتجاه الذي يوفر المعلومات الجادة والرصينة، وهناك الاتجاه الذي يوفر الترفيه، ويعمد إلى ترويج التسلية، وهناك اتجاه يحاول الجمع بينهما.

ولا شك في أن هدف الربح، سيظل عنصرا أساسيا بالنسبة للمؤسسات الاتصالية، لأنه يدعم حياتها، ويعطيها حافزا الاســتمرار والتقدم. ولكننا نتوقع أن تزداد قدرة الاتصــال على توفير التســلية المنزلية للأطفال واليافعين والراشــدين في آن واحد، ســواء كان ذلك في البرامج الترفيهية التلفزيونية، أو برامج ألعاب الكمبيوتر، أو ألعاب الفيديو، أو ما توفره شــبكات الإنترنت من ترفيه. ويجب النظر بجدية إلى تأثير هذه النوعية في البرامج الترفيهية، على حياة الأفراد واستغلالهم للوقت، وتأثيرها في الأنشطة الأخرى، وعلى الحياة الاجتماعية بشكل عام. وهكذا فإن استوديوهات الإنتاج السينمائي والتلفزيوني والإذاعي، اهتمت بالسعي إلى زيادة الإنتاج، بل والإنتاج بالجملة، بمضامين تكاد تكون نمطية، وتخفي عجزها بأشكال جذابة، فمضامين المسلسلات تكاد تتكرر حكاياتها،

وتثير انتباه المتلقي من خلال فنون إخراجية وتكنولوجيا عالية الكفاءة ، وقادرة على جذب الجمهور، أمام مادة الإنتاج، فيجب أن تكون مقبولة من الجميع، ولا تثير الجدل، ويسعى الاتصال الجماهيري دوما إلى استثارة استجابات متشابهة عند أكبر قدر ممكن من الجمهور متجاهلا خصائصهم الفردية ورغباتهم وتفضيلاتهم الشخصية.

ومن أجل الحصول على مثل هذا الجمهور فإن وسائل الإعلام تحرص على تقديم الترفيه لجمهورها، ولا يمكن تحقيق الأهداف التي يتوقعها التنمويون والمصلحون والقادة من وسائل الإعلام، من خلال أهداف مالكي وسائل الإعلام، لأن هؤلاء ينظرون إلى جمهورهم باعتبارهم زبائن مربحين. ولتحقيق ذلك فإن سعيهم الدائم نحو السيطرة على هذا الجمهور، لا يقابله تحمل مسئولية واعية وحقيقية نحو المجتمع، ولذلك نجد أن بعض المؤسسات الإعلامية في الولايات المتحدة، أقرت نظام التصنيف للأفلام والبرامج. وهذا يشكل دليلا على هذه الأزمة والإحساس بالمسئولية الاجتماعية، التي لا تراعيها وسائل الإعلام نحو الأبناء غير البالغين.

لم تعد التسلية المنزلية مقصورة على التلفزيون أو الإذاعة أو السينما، بل إننا نجد أن العديد من الصحف، وخصوصا الأسبوعية منها والصحب المعروفة بصحف التابلويد، تعمد إلى أن تكون رفيق تسلية للقارئ، أكثر من كونها رفيق ثقافة لهذا فإنها تعتمد على نشر قصص الإثارة وفبركتها، وتسهم إسهاما كبيرا في غزو خصوصية حياة الأفراد من المشاهير والساسة وقادة الرأي. وتسهم كذلك شبكات الإنترنت وألعاب الفيديو Video Games وألعاب الكمبيوتر في ترويج التسلية المنزلية، ولا شك فإن أشكال التسلية المنزلية المتاحة، إذا لم يكن هنا ضابط لاستخدامها كما ترى باتريشيا جرينفيلد فإن "الخطر الحقيقي بالنسبة "لألعاب الفيديو" يكمن في تنوعها وتعقيدها وإغراء عوالم الألعاب التي لها استجابات قوية لدى الأطفال" وكما اقترحت كان شيغولد Karen Sheingold فإن السيطرة الكبيرة على العوالم الخيالية لألعاب الفيديو، يمكنها أن تجلب إلى الحياة الحقيقية عدم الصبر، والتشويش وعدم السيطرة على عالم الحياة الحقيقية (Patricia M. Green Field 1984: 125)

### 7- 2- الربح وترويج الاستهلاك

تسهم وسائل الإعلام من خلال صرحها على نشر الإعلان أو إذاعته والحصول على المزيد منه، بتثبيت واقع يقول "إن البضائع المعلن عنها للمستهلك لا تنفصل على سعادته!" "وهذا يعني أن إعلانات وسائل الإعلام تقوم بترسيخ الروح الاستهلاكية عند الأفراد وتقوم بخلق حاجات للناس ليست هي في الأساس كذلك. بل أن هذه الروح الاستهلاكية أصبحت تتحول إلى نوع من الاستلاب كما يرى ماركوز إذ يقول: "إننا لنواجه هنا واحد من أكثر مظاهر المجتمع الصناعي المتقدم مدعاة للأسف: الطابع العقلاني للاعقلانية، فهذه الحضارة منتجة، ناجعة، قادرة على إضفاء صفة الحاجة على كل ما هو زائد عن الحاجة، وعلى تحويل الهدم إلى بناء. وبمقدار ما تحول الحضارة القائمة علم الشيء إلى بعد للجسم والروح الإنسانيين، يصبح مفهوم الاستلاب بالذات إشكاليا، فالناس يعترفون على أنفسهم في بضائعهم، ويجدون جوهر روحهم في سيارتهم وجهازهم التلفزيوني الدقيق الاستقبال، وفي بيتهم الأنيق وأدوات طبخهم الحديثة". (هربرت ماركوز: 45).

### 7- 3- غزو خصوصية الأفراد: الليدي ديانا سبنسر ضحية الإعلام

مع فر الحادي والثلاثين من آب 1997، تابع الذين استيقظوا مبكرا، (عبر القنوات الفضائية). نبأ حادث سيارة الليدي ديانا سبنسر ورفاقها في نفق في باريس، وليس من شك في أن أصابع الاتهام وجهت – قبل أن يرفعها شقيقها – إلى وسائل الإعلام، كان المشاهدون قد علموا أن سبب الحادث كان محاولة هروب السائق من مطاردة كاميرات الصحفيين لها.

وكان واضحا أن السبب في حادث الموت هذا، هو غزو الخصوصية الفردية من قبل وسائل الإعلام.

إن هذا الحادث يقف كمأ ساة بارزة في تاريخ و سائل الاتصال، وفي تاريخ حق الإنسانية في الخصوصية حتى لو كانت من الشخصيات العامة.

إن متابعة الشخصيات العامة نجوما و ساسة وقادة، أمر من الأمور المثيرة لشهية و سائل الإعلام، ومثيرة كذلك \لشهية الجمهور المتلهف دوما لمعرفة خصوصيات الناس، إنها شهوة حب الاستطلاع، وشهوة امتلاك الأسرار وكشفها، وهذا ما جرى لديانا سبنسر حين صرحت في مقابلة صحفية معها، "بأن مطاردة الصحفيين تجعلك ترى نفسك سلعة لوسائل الإعلام".

وفي القرن الحادي والعشرين، ستظل حقوق الإنسان في الخصوصية محورا من المحاول التي تشكل أكبر التحديات الأخلاقية لوسائل الاتصال، وبلا شك فإن تطور التكنولوجيا وتوفيرها، والتي تزداد كفاءتها في التسلل إلى حياة الأفراد والتلصص عليها، وتزداد القدرة على الحصول على المعلومات بشكل ملفت للانتباه، سوف تجعل من الخصوصية في القرن الحادي والعشرين، جزءا من تساؤل كبير تصعب الإجابة عليه إلا بمنطق التزامي أخلاقي.

## 8. خاتمة

استهدف هذا الفصل وبأسلوب تحليلي نقدي، التعرف على التحديات التي تواجه الاتصال في الوطن العربي مهنيا ومؤسساتيا ومجتمعيا ودوليا. واعتبر أن هذه التحديات هي تحديات مستمرة في القرن الحادي والعشرين.

وأبرز هذا الفصل مجموعة من التحديات الاتصالية، التي سيعيش معها مجتمعنا الكوني في القرن الحادي والعشرين، ولذا فقد استعرضنا دور النظام العالمي الجديد وتأثيره في ديمقراطية الاتصال، ورأينا أن عدم التوازن واللا مساواة في مجال الاتصال والمعلومات، سيظلان من علامات القرن. وكذلك أظهرنا أن مستوى التنمية البشرية في الوطن العربي، ما زال في مستويات متدنية تحتاج إلى مزيد من الجهد ونحن ندخل القرن الحادي والعشرين. ولا يمكن أن يتم تحقيق ذلك بدون نظرة جادة في دور الاتصال التنموي في إنجاز التنمية المستدامة.

ودرس هذا الفصل وقائع الاتصال الدولي. وما أفرزه من محطات فضائية أصبحت متاحة للجمهور. ومن خلال المنافسات الدولية والعربية فإننا في هذا الفصل نطرح مقولة جديدة ترى أن مقولة القرية العالمية الصغيرة التي تحدث عنها مكلوهان أفرزت لنا:

1. قبائل في قرية عالمية تعزز الخصوصية القومية في إطار العالمية.
2. إن ثورة المعلومات والاتصال – مصل شبكات الإنترنت – فإنها عمل على وجود نخبة عالمية.

وا ستنتجنا أن من تحديات الاتـصال الجماهيري التي ستستمر في القرن الحادي والعشرين. هي سعي المؤسسات الإعلامية للربح، وذلك بترويج التسلية والاستهلاك (الإعلان) وغزو خصوصية الأفراد.

ونرى أن نجال الغزو الثقافي، مرهون بشروط أهمها استعداد الملتقى لذلك.

إن هذا الفصل لم يستقصى جملة التحديات، ولكنه ركز على أبرزها وهي تحتاج إلى المزيد من الدراسة والبحث.

# المراجع

## أولا: باللغة العربية:


1. أبو اصبع، صالح (1995) الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة (عمان، دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع).
2. أبو اصبع، صالح (1989) التنمية العربية ودور الاتصال المفقود (مجلة شئون اجتماعية، مارس 1989).
3. أيلورث، جيل (1996) نمو النشـاط التجاري على الإنترنت، ترجمة د. محمود الخفيف، مجلة الثقافة العالمية العدد 77/ يوليو 1996 (ص. ص 101 – 119).
4. الدركزلي، (1997) الإنترنت، ثورة المعلومات والثقافة والتعليم. مجلة آفاق الثقافة والتراث السـنة (4) العدد (16) مارس 1997 ص. ص 33 – 43.
5. لجنة إدارة شئون المجتمع العالمي 1995 ، جيران في عالم واحد، ترجمة مجموعة من المترجمين، مراجعة عبد السلام رضوان (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة).
6. مجلة المستقبل العربي الملف الإحصائي، التنمية البشرية في الوطن العربي، العدد فبراير 1997. بيروت مركز دراسات الوحدة العربية.
7. ماركوز، هربرت، 1998، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت، دار الآداب.
8. المصمودي: مصطفى، 1982، النظام الإعلامي الجديد (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب).
9. نيصبات، جون وابردين، باترشيا، 1991، الاتجاهات الكبرى عام 2000، مراجعة د. العجيلي السيري (فاليتا – مالطا – مركز دراسات العالم الإسلامي).
10. الهيتي، د. هادي نعمان 1966، الفضائيات الوافدة واحتمالات تأثيرها السياسي في الوطن العربي (بغداد، مجلة آفاق عربية، كانون الأول لسنة 21 ص 16 – 21.
11. 1996، دليل التنمية البشرية.


ثانيا: باللغة الإنجليزية:


Cherry. Colin 1978: World communication threat or promise? (Chichester – New York, John Wily & Sons.